جهود الأمّة في علوم القرآن في العصر الحديث

الدكتور محمّد يوسُف الشُّربجي
كلية الشريعة ـــ جامعة دمشق

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وحسبنا الله وكفى.

وبعد :

فإن أشرف ما صرفت له الأوقات، وبذلت في سبيل علومه الدقائق والساعات، كتابُ الله المجيد الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[فصلت:42] والذي تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر : 9].

وكان من حفظه تعالى لكتابه الكريم أن هيّأ له رجالاً مخلصين، بذلوا في سبيل تبليغه وتعليمه ونشر علومه النفس والنفيس.

فمنذ فجر الإسلام ، والعلماء يتنافسون في هذا المضمار، وقد سار الأواخر على نهج الأوائل، وتسابقوا في خدمة كتاب ربهم، وحافظوا على تراث أسلافهم فاستفادوا مما دوّنوه في علوم القرآن، وتناولوه بالدراسة والتحقيق، والشرح والتعليق ثم لم يكتفوا بذلك بل خاضوا غمار التأليف في هذا المجال، ودونوا أسفاراً حوت من العلوم والمعارف ما لا يستغني عنه طلاب علوم الكتاب العزيز.

وإن الدراسات التي تناولت جهود العلماء السابقين وإسهاماتهم في علوم القرآن كثيرة، وكان من فضل الله تعالى عليّ ـــ وأسأله سبحانه المزيد مع القبول ـــ أن وفقني لدراسة جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن، وحصلت بهذه الدراسة على درجة دكتوراه الدولة في علوم القرآن بتقدير مشرّف جداً من جامعة الزيتونة بتونس عام 1993م، وقد مهّدتُ للباب الرابع من الأطروحة ـــ وهو عن (الإتقان في علوم القرآن) ـــ بدراسة جهود علمائنا في علوم القرآن منذ تاريخ التدوين في القرن الثاني الهجري إلى عصر السيوطي المتوفى سنة 911هـ / 1505م .

ولما أعلنت مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، فاس، المغرب، ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب عن تنظيمها:

المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه فاس – 14-15-16 أبريل 2011، رأيت أن أبحث في جهود علمائنا في علوم القرآن في العصر الحديث _ وهو يدخل في صميم عنوان المؤتمر العريض _ وذلك لبيان قيمة هذه التآليف التي كثرت كثرة بحيث أصبحت عصية على الباحث أن يحيط بها وبمؤلفيها، وهي إحدى الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث، بالإضافة إلى صعوبة الوصول إلى بعض الكتب الأخرى والتعريف بمؤلفيها، ولذلك اضطررت لتعداد هذه الكتب والتعريف ببعضها، تاركاً المجال لمن أراد متابعة هذا البحث التعريف بالمزيد من كتب علوم القرآن. وسميته (**جهود الأمّة في علوم القرآن ، في العصر الحديث**) وبهذا تكون المؤلفات في علوم القرآن قد اكتملت دراستها _ ولله الفضل والمنّة _ من عصر التدوين إلى الوقت الحاضر.

وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وقمت بالاستقراء إلا أنه استقراء ناقص، وذلك لما ذكرته آنفاً من عدم إمكانية حصر المؤلفات في هذا المجال، وقد استطعت _ بفضل الله تعالى _ أن أحصي قرابة التسعين مؤلفاً في علوم القرآن في الوقت الحاضر، وعلى مستوى العالم الإسلامي، وما أظن أن أحداً قام بحصر هذه المؤلفات، والتعريف بها على هذا النحو قبلي، وخاصة المؤلفات الحديثة التي صدرت قبل سنوات قليلة، بالإضافة إلى أنني سأقارن بين علَمين من أعلام العصر المتخصصين في علوم القرآن هما الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، والأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات.

أما خطة البحث فقد جاءت في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة : ذكرت فيها أهمية البحث، وسبب اختياره، وبعض صعوباته، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول : علوم القرآن الكريم، تاريخ وتطور(باختصار).
المبحث الثاني : جهود الأمّة في علوم القرآن في العصر الحديث .
المبحث الثالث: مقارنة بين الأستاذين فضل حسن عباس وأحمد حسن فرحات
الخاتمة: نسأل الله حسنها، وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول : علوم القرآن ، تاريخ وتطور (باختصار[1])

أولاً – تمهيد : تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن الكريم مصطلح علمي يدل على فنّ عظيم جليل ، وهو كالمقدمة لا بد منها لمن أراد دراسة القرآن الكريم وفهمه.

وقد عرّفه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني باعتباره علَماً على الفن المدون فقال: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك"[2].

وقد رأيت اختصاره مع المحافظة على مضمونه فقلت :

"مباحث كلية تتعلق بالقرآن الكريم من عدة نواحٍ، يمكن عدّ كل منها علماً قائماً بذاته"[3].

ومعلوم أن النواحي المتعلقة بالقرآن هي: نزول القرآن الكريم وجمعه وترتيبه وتدوينه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وأساليب خطابه وإعجازه... ونحو ذلك.

ثانياً _ تاريخ علوم القرآن :

كانت علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي أول شيء ظهر في الإسلام ، وكانت العمدة فيها على التلقي والمشافهة عن النبي ﷺ ، ثم تلقى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ذلك عن النبي ﷺ وتناقل ذلك التابعون عن الصحابة الكرام وهكذا.

ولّما كانت كتب التفسير بدأ تدوينها في القرن الثاني والثالث الهجريين، وكانت مسائل هذا العلم جزءاً من علم التفسير اقتضى هذا الأمر تدوين بعض قضايا علوم القرآن مبكرة كذلك[4]، وكان من الطبيعي أن تحتوي بعض كتب التفسير على مقدمات في علوم القرآن كتفسير الإمام الطبري (ت 310هـ / 922م) (جامع البيان في تفسير آي القرآن) وتفسير ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ / 1147م) (المحرر الوجيز) وتفسير القرطبي (ت 671هـ/ 1276م)(الجامع لأحكام القرآن) وغيرها.

---

[1] _ للتوسع في هذه النقطة ينظر بحثي " علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره وأول من ألف فيه " المنشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد 12، العدد الأول سنة 1996م، من ص 145 _ 181 ، وأطروحتي الدكتوراه " الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن " المنشورة في دار المكتبي بدمشق عام 2001م ، من ص499 _ 510.

[2] – مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني، تحقيق د. بديع السيد اللحام (ط1، دار قتيبة، دمشق:1998م) 42/1.

[3] – علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره وأول من ألف فيه، د. محمد الشربجي، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد 12، العدد الأول سنة 1996م ، ص 145؛ و" الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن " د. محمد الشربجي(ط1 ، دار المكتبي، دمشق : 2001م) ص500.

[4] _ غذاء الجنان بثمر الجنان محاضرات في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس (ط1، دار النفائس ، عمّان ــ الأردن : 2007م) ص8.

ثم بدأت التأليف لنوع واحد من علوم القرآن كأسباب النزول الذي ألف فيه شيخ البخاري علي بن المدِيني (234هـ) ، والناسخ والمنسوخ ، وفضائل القرآن والأحرف السبعة وغيرها إلى أن قام الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة 597هـ رحمه الله تعالى بجمع هذه الأنواع في كتاب سماه " فنون الأفنان في عيون علوم القرآن " الذي قام بتحقيقه فضيلة الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، شقيق أستاذنا الفاضل الشيخ نور الدين عتر أطال الله في عمره وأمتع به، والذي تبين لي أنه أول كتاب ألف في علوم القرآن بالمفهوم الاصطلاحي[1]، ثم توالت التأليف بعد ذلك وكان أشهر كتابين كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (ت794 هـ)، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (ت911هـ).

ثالثاً : أول ما ظهر في علوم القرآن بعد السيوطي:

كان شائعاً أن أول كتاب ظهر بعد السيوطي في علوم القرآن هو كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان) للشيخ طاهر الجزائري (ت 1338هـ)[2]، ولكن يمكننا أن نعود إلى الوراء قرنين من الزمان لنقف على كتاب من أجمع ما كتب في علوم القرآن بعد السيوطي وهو كتاب (الزيادة والإحسان في علوم القرآن) لأبي عقيلة المكي، محمد بن أحمد بن سعيد (ت 1150هـ)، الذي طبع بإشراف مجلس النشر العلمي، في جامعة الشارقة عام 1427هـ / 2006 م، (وهو في الأصل رسائل ماجستير سجلت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لخمسة من الباحثين بإشراف الدكتور محمود محمد شبكة)، والكتاب كما قال عنه الدكتور مصطفى الصاوي الجويني " هذب مؤلفه كتاب الإتقان وزاد عليه "[3]، إذ بلغت الأنواع عنده (154) نوعاً ، وطبع في عشرة مجلدات، فيُعدّ بذلك أوسع موسوعة علمية في علوم القرآن إلى اليوم[4].

ثم ألف الشقانصي التونسي أحمد بن أحمد (ت مابين 1228هـ _ 1235هـ تقريباً) كتابه الكبير والذي يقع في مجلدين مخطوطين بخط يده (الشهب الثواقب والسيوف الهندية في كفر من تعمد وقصد بغير نقل وعجز تحريف كلام خالق البرية) والذي لا يفهم من عنوان أنه في علوم القرآن ، ولكننا إذا وقفنا عليه وطالعنا فيه فسنجد أنه ضمّنه كتاب السيوطي (الإتقان) ، وإن كان سبب التأليف كما يفهم من العنوان هو الرد على من زعم أن من تعمد اللحن في كلام الله تعالى وقصده ليس بكافر، وقد قسمه إلى أربعة وخمسين فصلاً، وما زال مخطوطاً.

---

[1] _ انظر تفصيلات ذلك في بحثي المشار إليه سابقاً "علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره وأول من ألف فيه". نشر مجلة جامعة دمشق 1996، وقد طبع الكتاب بعناوين أخرى مثل " عجائب علوم القرآن " بتحقيق زميلنا الفاضل الشيخ الدكتور عبد الفتاح عاشور في مصر.

[2] _ انظر غذاء الجنان، للشيخ فضل عباس ... ص10.

[3] _ أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً (ط. الإسكندرية : 1982م) ص295.

[4] _ الزيادة والإحسان في علوم القرآن: المقدمة.

ثم جاء الإمام الهندي المغمور عبد الحميد الفراهي (ت 1349هـ)[1]، وألف عدة كتب ورسائل في علوم القرآن قصد من ورائها تكوين مشروع قرآني كامل يمهد لفهم القرآن الكريم، منها: مفردات القرآن ، وأساليب القرآن ، والتكميل في أصول التأويل، وأسباب النزول، وتاريخ القرآن، وحجج القرآن، وأوصاف القرآن، ودلائل النظام، وتفسير كبير سماه (نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان) والذي أصبح يعرف به.

ثم توالت التآليف بعد ذلك وأخذت في جلها ومعظمها منحى التأليف العلمي الجامعي، فألف الشيخ محمد علي سلامة (منهج الفرقان إلى علوم القرآن) لطلاب كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، ثم كتب الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني كتابه الشيق (مناهل العرفان في علوم القرآن) لطلاب الدراسات العليا في كلية الدعوة عام 1943م، الذي أصبح مرجعاً أساساً لجميع طلاب العلم في العصر الحديث، ومنهلاً عذباً لمن ألف في علوم القرآن، لما تميز به من أسلوب جزل، وتعبير قوي، وردّ على افتراءات المستشرقين، على ما فيه من تطويل واستطراد واقتصار على بعض أنواع علوم القرآن ، وفي جامعة دمشق ــ كوني أحد أعضاء الهيئة التدريسية فيها ــ كانت أولى التآليف في علوم القرآن لطلاب الجامعة فألف الدكتور صبحي الصالح كتابه الشهير (مباحث في علوم القرآن) سنة 1958م لطلاب كلية الآداب في جامعة دمشق ، ثم جاء بعده أستاذنا الكبير العلاّمة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فألف كتابه الرائع (من روائع القرآن) لطلاب كلية الآداب والشريعة، ثم تبعه الدكتور عدنان زرزور الذي ألف كتابه (القرآن ونصوصه) أيضاً لطلاب الكلية نفسها عام 1980م، ثم جاء أستاذنا الدكتور الشيخ نور الدين عتر حفظه الله تعالى وألف عدة كتب لطلاب كلية الشريعة والآداب في جامعة دمشق، فألف كتابه (محاضرات في التفسير وعلوم القرآن) لطلاب كلية الشريعة في جامعة دمشق عام 1984م، و (القرآن الكريم والدراسات الأدبية) عام 1985م لطلاب كلية الآداب، وما يقال عن جامعة دمشق يقال عن بقية الجامعات، إلى غير ذلك من مؤلفات مما سنبينه إن شاء الله في المبحث الثاني.

ومما هو جدير بالذكر أن بعض كتب علوم القرآن كانت مقدمات لكتب التفسير كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي الذي جعل الإتقان مقدمة لتفسير كبير له سماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين) وقد تبعه في ذلك وسار على طريقته الشيخ طاهر الجزائري الذي جعل (التبيان) مقدمة لتفسير كبير له في أربعة مجلدات ، كذلك حوت بعض كتب التفسير في مقدماها على بعض أنواع علوم القرآن كما أشرت إلى ذلك سابقاً ، وقد سار الأواخر على نهج الأوائل فقدموا لكتبهم في التفسير ببعض أنواع علوم القرآن، كمقدمة (أحسن

---

[1] ــ ومن العجيب أن هناك أطروحة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، اختصاص علوم القرآن ، مقدمة إلى المعهد الأعلى لأصول الدين في جامعة الزيتونة، عام (1426هـ / 2005م) بعنوان (جهود علماء الهند في خدمة الكتاب والسنة، في القرن الرابع عشر الهجري) لم يتعرض له الباحث على الرغم من شيوع صيته هناك، وكثرة مؤلفاته وكتبه، والتي بلغت أكثر من أربعين كتاباً!! وهذا يؤكد ما قلته في المقدمة.

التفاسير)[1] للشيخ أحمد حسن الدهلوي الهندي (ت 1338هـ / 1920م) والمقدمات العشر المهمة في علوم القرآن للشيخ العلاّمة محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ/1973م)، في كتابه المشهور(التحرير والتنوير)[2] والمقدمات التي اشتمل عليها تفسير أستاذنا الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه الكبير(التفسير المنير[3] ...) وغيرهم.

المبحث الثاني : جهود الأمّة في علوم القرآن في العصر الحديث:

قلَّت المؤلفات في علوم القرآن بعد السيوطي (بالمفهوم الاصطلاحي)[4]، كما أشرت إلى ذلك سابقاً، وكأنّ المؤلفات في علوم القرآن دخلت في سُبات ، فلم تسجل لنا كتب المصادر والمراجع (الببليوغرافيا) وفهارس علوم القرآن شيئاً من كتب علوم القرآن بعد السيوطي حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري، إلا ما ذكرت من كتابين اتخذا من السيوطي قدوة وأسوة، واعتمدا عليه اعتماداً كبيراً، فوردا حوضه، نهلا منه، وصدرا عنه، ثم حميت التآليف بعد ذلك وتوالت، وكانت في معظمها وفق مقررات الدراسة في الجامعات، وكان (برهان) الزركشي و(إتقان) السيوطي مرجعاً مهماً لها, ويمكن أن أسجل هنا ما توصلت إليه من جهود الأمّة في علوم القرآن في العصر الحديث، مراعياً في سردها الترتيب الزمني ما أمكن وهي:

_ الشيخ عبد الحق الدهلوي الهندي المعروف بالحقاني (ت 1335هـ / 1917م) (البيان في علوم القرآن[5]).

---

[1] _ طبعت في الهند ، دهلي سنة 1330هـ / 1921م. وهي مقدمة مهمة في علوم القرآن والتفسير، قسمها إلى بابين وخاتمة : الباب الأول في أمور مفيدة متعلقة بكتاب الله تعالى وذكر فيه ستة عشر نوعاً من أنواع علوم القرآن ، كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ إلخ، والباب الثاني في التفسير والمفسرين، تحدث فيه عن أصول ومبادئ علم التفسير، والفرق بين التفسير والتأويل، وتفاسير المعاصرين.. إلخ. ونظراً لأهميتها طبعت بنحو مستقل.

[2] _ طبع في الدار التونسية للنشر والدر الجماهيرية بتونس: د.ت.

[3] _ صدر عن دار الفكر بدمشق :1411هـ/1991م.

[4] _ أود أن أبين هنا أن هناك مؤلفات في علوم القرآن قد ظهرت بعد السيوطي ولكن بنحو مفرد كـ (لطائف الإشارات في علم القراءات) للقسطلاني (ت 923هـ) و (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) للشيخ زكريا الأنصاري (ت 926 هـ) و له أيضاً (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة (الجزرية) وغيرها كثير في القراءات والتجويد ووجوه القرآن، ولكن البحث يدور حول المؤلفات في علوم القرآن بالمفهوم الاصطلاحي الجامع لعدة أنواع في مؤلف واحد.

[5] _ هو مقدمة لتفسيره (فتح المنان في تفسير القرآن) المعروف بالتفسير الحقاني، وهذه المقدمة اشتملت على ثلاثة أبواب وخاتمة، تناول فيها بعض أنواع علوم القرآن وخاصة في الباب الثاني، إذ تكلم في الفصل الأول عن الوحي والثاني في جمع القرآن وكتابته ، والثالث والرابع والخامس فيما اشتمل عليه القرآن من العلوم ، والسادس في معنى التفسير والتأويل ، والسابع

ــ الشيخ طاهر الجزائري (ت 1338هـ/ 1920م) (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان)[1].

ــ الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي (ت 1349هـ/1930) (ثلاث رسائل في علوم القرآن)[2]، وهي: " دلائل النظام " و" أساليب القرآن " و" التكميل في أصول التأويل ".

ــ الشيخ محمد أمين سويد الشامي (1355هـ / 1936م) (علوم القرآن وأصوله[3]).

ــ الشيخ محمد طاهر الكردي (تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه[4]).

ــ الشيخ محمد علي سلامة (منهج الفرقان في علوم القرآن[5]).

ــ الشيخ محمد حسنين مخلوف (عنوان البيان في علوم التبيان[6]).

ــ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (مناهل العرفان في علوم القرآن[7]).

ــ الشيخ الإمام محمد أبو زهرة (المعجزة الكبرى القرآن[8]).

ــ الشيخ محمد يوسف البنّوري الهندي(ت 1397هـ / 1977م) (يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن[9]).

في العلوم التي يجب على المفسر معرفتها وذكر منها: الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وتوجيه المشكل، وشرح الغريب، والمحكم والمتشابه، وغيرها. طبعت في مطبعة فيصل بلاهور د.ت.

[1] ــ الطبعة الأولى في دار المنار بمصر 1334هـ ، ثم طبع بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ، ونشر في دار البشائر بدمشق: ط4، 2006م.

[2] ــ طبعت في الدائرة الحميدية في الهند: 1389هـ ، وأعيد طبعها سنة 1411هـ.

[3] ــ ما زال مخطوطاً ، انظر محمد مطيع الحافظ ، ونزار أباظة ، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (ط1، دار الفكر، دمشق: 1406هـ/ 1986م) 506/1.

[4] ــ طبع جدة: 1365هـ.

[5] ــ طبع في مصر 1943م.

[6] ــ طبع الطبعة الأولى في مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة 1344هـ ، ثم طبع الطبعة الثانية في مصر ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، سنة 1399هـ.

[7] ــ طبع عدة طبعات وحقق عدة تحقيقات منها تحقيق أخينا الفاضل الدكتور بديع السيد اللحام ، دار قتيبة، دمشق:1998م.

[8] ــ طبع في القاهرة ، دار الفكر العربي: 1970.

[9] ــ كتبه مقدمة لكتاب (مشكلات القرآن) لشيخه العلاّمة أنور شاه الكشميري ، وهو كتاب قيم تحدث فيه عن بعض أنواع علوم القرآن مثل : علم التفسير وشروطه، والكلام على كتب التفسير القديمة والحديثة ، وتحدث عن وجوه الإعجاز

ـ الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة (المدخل إلى دراسة القرآن الكريم[1]).

ـ الشيخ أحمد الكومي (فصل الخطاب في سلامة القرآن[2]).

ـ الشيخ عبد الوهاب غزلان (البيان في علوم القرآن[3]).

ـ الدكتور محمد عبد الله دراز (النبأ العظيم[4]) و (مدخل إلى القرآن الكريم[5]).

ـ محمد عزة دروزة (القرآن المجيد، تنزيله، أسلوبه ، أثره، جمعه، تدوينه، ترتيبه، وقراءته[6]).

ـ الدكتور صبحي الصالح (مباحث في علوم القرآن[7]).

– الشيخ محمد الشاذلي النيفر (ت 1997م) (دروس في علوم القرآن)

ـ ابن الخطيب ، محمد محمد عبد اللطيف (منهج الفرقان في علوم القرآن[8]) .

ـ علي أحمد الآصفي ،(دراسات في القرآن الكريم[9]).

ـ الدكتور عبد الصبور شاهين (تاريخ القرآن[10]).

ـ الشيخ علي محمود خليل (مذكرات في علوم القرآن[11]).

ـ محمد جواد جلال (علوم القرآن[12])

ـ الشيخ موسى شاهين لا شين (اللآلئ الحسان في علوم القرآن[13]).

الشيخ محمد علي الصابوني (التبيان في علوم القرآن[14]).

القرآني بشيء من التفصيل، طبع الكتاب أول مرة في دهلي سنة 1936م، ثم أعيد طبعه مع إضافات كبيرة في كراتشي سنة 1976م.

[1] ـ طبع عدة طبعات كذلك في مصر 1393هـ والطبعة الثانية 2003م .

[2] ـ أشار الشيخ فضل في كتابه (محاضرات في علوم القرآن ص11) إلى طباعته ، و لم أطلع عليه.

[3] ـ طبع في دار التأليف بالقاهرة : 1384هـ / 1965.

[4] ـ طبع في دار القلم ، الكويت : 1970م.

[5] ـ طبع في دار القلم ، الكويت : 1974م.

[6] ـ المكتبة العصرية، بيروت: د.ت.

[7] ـ طبع عدة طبعات أولاها سنة 1958م، بمطبعة جامعة دمشق.

[8] ـ طبع دار الكتب المصرية ، القاهرة : 1366هـ .

[9] ـ طبع في مطبعة النجاح، النجف: 1966م.

[10] ـ طبع في دار القلم ، بيروت : 1966م.

[11] ـ طبع بدار شوشة في القاهرة : 1388هـ / 1968م.

[12] ـ طبع في مطبعة حداد، البصرة: 1969م، منشورات الرابطة الثقافية في البصرة.

[13] ـ طبع في دار التأليف بالقاهرة : 1388هـ / 1968م.

[14] ـ طبع في دار الإرشاد، ط1، بيروت: 1390 هـ / 1970م.

ــ عبد الله خورشيد (القرآن وعلومه[1]).

ــ الشيخ موسى الشيخ جعفر السوداني (البرهان لعلوم القرآن[2]).

ــ كمال الدين الطائي (موجز البيان في مباحث القرآن[3]).

ــ الدكتور عبد الله محمود شحاته (تاريخ القرآن والتفسير[4]).

ــ الدكتور عدنان زرزور (دراسات قرآنية[5]) و(القرآن ونصوصه[6]) و (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه[7]).

ــ السيد أحمد خليل (دراسات في القرآن[8]).

ــ عبد القهار داود العاني (دراسات في علوم القرآن[9]).

ــ الدكتور عبد المجيد محمود (في علوم القرآن[10]).

ــ الشيخ عبد الفتاح القاضي (من علوم القرآن[11]).

ــ الدكتور محمد سالم محيسن (في رحاب القرآن[12]).

ــ الدكتور السيد أحمد عبد الغفار(قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه)[13]

ــ الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم (علوم القرآن[14]).

ــ الدكتور محمد بكر اسماعيل (دراسات في علوم القرآن[15]).

ــ الأستاذ أديب العلاف (البيان في علوم القرآن[1]).

---

[1] ــ طبع مصر: 1970.

[2] ــ طبع في النجف الأشرف ، مطبعة الآداب 1390هــ / 1971م.

[3] ــ طبع في بغداد مطبعة سلمان الأعظمي 1391هــ / 1971م.

[4] ــ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1392هــ / 1972م.

[5] ــ طبع في مكتبة الفتح بدمشق الطبعة الأولى 1395هــ/ 1975م.

[6] ــ طبع جامعة دمشق : 1400هــ/ 1980م.

[7] ــ طبع في دار القلم ، ط2، دمشق: 1998م.

[8] ــ طبع دار المعارف ، ط1، مصر : 1972م.

[9] ــ طبع مطبعة المعارف ، بغداد : 1972م.

[10] ــ طبع في مطبعة دار البيان ، القاهرة : 1975م.

[11] ــ طبع بالقاهرة : 1396هــ / 1976م.

[12] ــ طبع في مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة : 1400هــ / 1980م.

[13] ــ طبع في دار المعرفة الجامعية الإسكندرية : 1984م.

[14] ــ طبع في مطبعة الحضارة العربية ، القاهرة : 1401هــ.

[15] ــ طبع في دار المنار القاهرة ، ط2، 1411هــ/ 1981م.

ــ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (من روائع القرآن[2]).

ــ الدكتور محمد الصباغ (لمحات في علوم القرآن[3]).

– الشيخ مناع القطان (مباحث في علوم القرآن[4]).

– محمد عبد السلام كفافي، وعبد الله الشريف (في علوم القرآن ، دراسات ومحاضرات[5]).

ــ والشيخ الدكتور نور الدين عتر (علوم القرآن الكريم[6]) و (القرآن الكريم والدراسات الأدبية[7]).

ــ الدكتور فاروق حمادة (مدخل إلى علوم القرآن والتفسير[8]).

ــ الشيخ الدكتور مصطفى البغا ، والدكتور محي الدين مستو (الواضح في علوم القرآن[9]).

ــ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي (مفاتيح للتعامل مع القرآن[10]).

ــ والشيخ الدكتور فضل حسن عباس (إتقان البرهان في علوم القرآن[11]) و (غذاء الجَنان بثمر الجِنان ، محاضرات في علوم القرآن[12]).

ــ الدكتور أحمد حسن فرحات (في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق[13]).

ــ الأستاذ عبد البديع السيد صقر(التجويد وعلوم القرآن[14]).

ــ الشيخ محمد الصادق قمحاوي (الإيجاز والبيان في علوم القرآن[15]).

ــ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي (دراسات في علوم القرآن[1]).

---

[1] ــ طبع في مكتبة الفارابي، دمشق: 1999م.

[2] ــ طبع في دمشق ، مكتبة الفارابي , د.ت.

[3] ــ طبع المكتب الإسلامي ، بيروت : 1394هـ .

[4] ــ طبع عدة طبعات وقرر في كثير من الجامعات وخاصة في الخليج وكانت (الطبعة : 35) سنة 1998م، في مؤسسة الرسالة ، دمشق ، بيروت.

[5] ــ ط. بيروت ، دار النهضة: 1972م.

[6] ــ طبع عدة طبعات (ط6، 1996) هو في الأصل مقرر على طلاب السنة الأولى في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

[7] ــ طبع في دمشق ، مطبعة خالد بن الوليد 1990م.

[8] ــ طبع مكتبة المعارف ، الرباط : 1399هـ / 1979م.

[9] ــ طبع دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية : دمشق : 1417هـ/ 1996م.

[10] ــ طبع دار القلم ، دمشق: ط2 ، 1994م.

[11] ــ طبع في دار الفرقان ، عمّان : 1997م.

[12] ــ طبع في دار النفائس ، عمّان : 1427هـ / 2007م.

[13] ــ ط. دار عمار ، الأردن: 2001م.

[14] ــ ط. المكتب الإسلامي، دمشق : 1383هـ، وهو للصفوف الابتدائية، والباب الرابع في بعض أنواع علوم القرآن.

[15] ــ ط1، مكتبة الشروق الدولية : 2003م.

ــ كامل موسى، علي دحروج (التبيان في علوم القرآن[2]).

ــ بدران أبو العينين بدران (دراسات حول القرآن[3]).

ــ محمد جواد المختصر السعيدي النجفي(بحوث حول علوم القرآن[4])

ــ فاضل شاكر أحمد، وفرح توفيق الوليد (المنتقى في علوم القرآن[5]).

ــ د. غانم قدوري حمد (محاضرات في علوم القرآن[6]).

ــ د. أمير عبد العزيز، (دراسات في علوم القرآن[7]).

ــ د. محمد الدسوقي، (في تاريخ القرآن وعلومه[8]) .

ــ الشيخ صابر حسن أبو سليمان (مورد الظمآن في علوم القرآن [9]).

ــ د. أحمد عادل كمال (علوم القرآن[10]).

ــ د. صابر غانم المنكوت (أطياف البيان في أحكام وعلوم القرآن[11])

ــ د. أمين فرشوخ ، (المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية[12]).

ــ د. إبراهيم الأبياري (تاريخ القرآن والتفسير[13]).

ــ الدكتور غازي عناية (هدي الفرقان في علوم القرآن[14]).

ــ د. محمد علي الحسن (المنار في علوم القرآن[15]) .

---

[1] ــ طبع عدة طبعات، مكتبة التوبة الرياض: 1415هـ. (ط12: 2003م).

[2] ــ طبع دار بيروت المحروسة ط2، بيروت: 1995م.

[3] ــ طبع مؤسسة الجامعة مصر ، د.ت .

[4] ــ طبع في مطبعة الآداب ، النجف: 1975م.

[5] ــ طبع في مطبعة جامعة بغداد ، بغداد :1979م.

[6] ــ طبع دار الكتاب للطباعة ، بغداد : 1981م.

[7] ــ ط. دار الفرقان ، عمّان: 1983م.

[8] ــ ط. ليبيا ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع : 1983م.

[9] ــ نشر بومباي ، الدار السلفية : 1984م. وسماه في المقدمة بـ (الرائد في علوم القرآن) وهو في الأصل لطلاب المرحلة الثانوية.

[10] ــ ط. تونس، دار الراية:1984م .

[11] ــ ط. القاهرة : 1989م .

[12] ــ ط. بيروت 1990م.

[13] ــ ط. القاهرة ، دار الكتاب المصري : 1411هـ / 1991م.

[14] ــ طبع عالم الكتب : 1996م.

[15] ــ ط. بيروت : 1998م.

_ د. ثناء علي مخيمر الشيخ (البيان في علوم القرآن[1]) .

_ د. محمد أحمد خلف الله (القرآن وعلومه[2]).

_ د. أحمد محمد علي داود (علوم القرآن والحديث[3]).

_ د. محمد الصبحي العلاني (علوم القرآن ومترلتها بين العلوم الشرعية[4]).

_ د. عبد الله محمد سلقيني (موجز في علوم القرآن وأصول التفسير[5]).

_ د. سليمان معرفي (في علوم القرآن[6]).

_ د. محمد المجالي (الوجيز في علوم الكتاب العزيز[7]) .

_ عبد الله بن يوسف الجُديْع (المقدمات الأساسية في علوم القرآن[8]).

_ د. محمد عابد الجابري (مدخل إلى القرآن الكريم) الجزء الأول (في التعريف بالقرآن[9]).

_ د. أحمد زكريا ياسوف (دراسات في علوم القرآن ، رؤية جديدة[10]).

_ د. جلال الدين العلوش (دراسات في التفسير وعلومه)[11]

بالإضافة إلى المذكرات المؤلفة خصيصاً لطلاب الجامعات مثل :

_ مذكرات في علوم القرآن من كتاب منهج الفرقان[12] ، للشيخ محمد علي سلامة.

_ مذكرات في علوم القرآن[13] ، للشيخ محمد أبو الخير زين العابدين.

_ محاضرات في علوم القرآن[14] ، للدكتور نعيم اليافي (أملية جامعية).

_ مذكرة في علوم القرآن[1] ، للشيخ أحمد أحمد علي.

---

[1] _ ط. القاهرة : 1998م.

[2] _ طبع دار المعارف ، سوسة ، تونس : د.ت.

[3] _ طبع دار البشير ، عمّان .

[4] _ طبع تونس : 1999م.

[5] _ طبع دار المكتبي بدمشق : 2002م.

[6] _ طبع جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي : 2003م .

[7] _ طبع جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، الأردن ، عمّان : 2005م.

[8] _ ط3، نشر الجُديْع للبحوث والاستشارات، ليدز بريطانيا:2006م.

[9] _ ط1، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب : 2006م.

[10] _ طبع في سورية : 2006م.

[11] _ طبع مؤسسة بن عاشور، تونس، واليمامة ، دمشق: 2006م

[12] _ طبع القاهرة مطبعة الأزهر 1375هـ / 1960م.

[13] _ طبع حلب 1380 / 1961.

[14] _ طبع جامعة حلب: 1970م.

ـ مذكرة في علوم القرآن[2]، للدكتور محمد يوسف الشربجي، وغيرها كثير.

وهناك كتب عنونت بـ (مباحث في علوم القرآن، علم أسباب النزول[3]) للأستاذة الدكتورة وسيلة بلعيد، تناولت فيه فقط "علم أسباب النزول "، أو كتاب (الظاهرة القرآنية[4]) لمالك بن نبي رحمه الله الذي تناول فيه موضوع الوحي، وبالتالي فإن هذه الكتب لا تدخل ضمن دراستنا لعلوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي، التي جمعت عدة علوم في كتاب واحد، كما أشرنا سابقاً، وذلك لكثرة هذه المؤلفات التي اقتصرت على نوع واحد من أنواع علوم القرآن.

وهناك رسائل علمية قدمت لنيل درجات الماجستير والدكتوراه سواء في نوع أو بعض أنواع علوم القرآن وهي كثيرة جداً، والذي يهمنا هنا الرسائل العلمية التي تناولت علوم القرآن بنحو عام ، ويمكن أن أذكر منها:

1- ابن القيم وعلوم القرآن: أعدّها البدري الأمين دفع الله أحمد، وهي رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في جامعة الخرطوم في السودان، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، سنة 1995م.

2- الإتقان في علوم القرآن تعليق ودراسة: أعدّها علي فتحي موافي العوضي، بإشراف الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي ومشاركة عبد الوهاب عبد العاطي، لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة الأزهر، سنة 1986م.

3- الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن: أعدها محمد يوسف الشربجي، ونال بها درجة الدكتوراه الدولة من جامعة الزيتونة في تونس سنة 1993م، بتقدير مشرّف جداً وقد نشرت سنة (1421هـ/ 2001م)

4- جهود أبي حاتم السجستاني في علوم القرآن: أعدها يعقوب أحمد محمد، لنيل درجة الماجستير من جامعة بغداد في العراق سنة 1997م.

5- جهود علماء الهند في خدمة الكتاب والسنة، في القرن الرابع عشر الهجري، أعدها الباحث عبد الله عبد الحميد السعدي، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد الناصر الزعابري، لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية من جامعة الزيتونة بتونس: 1426هـ/ م 2005م.

6- الزركشي ومنهجه في علوم القرآن: أعدها عبد العزيز إسماعيل صقر، بإشراف أحمد السيد الكومي، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر كلية أصول الدين سنة 1982م.

---

[1] ـ طبع في مطبعة الأزهر ، القاهرة : 1378هـ / 1958م.

[2] ـ طبع في دمشق: 1996م.

[3] ـ ط. دار الجويني للنشر، تونس : 1984م.

[4] ـ طبع في القاهرة: 1958.

7- قضايا علوم القرآن والتفسير عند الإمام الشاطبي في كتاب الموافقات أعدها لبابة عايش علي محمد، بإشراف الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، وقد نال بها الباحث درجة الماجستير من الجامعة الأردنية عام 1996م.

8- موارد ابن حجر العسقلاني في علوم القرآن من فتح الباري: أعدها محمد أنور صاحب بن محمد عمر، بإشراف حكمت بشير ياسين، لنيل درجة الماجستير من كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1414هـ.

ولا شك أن هناك كتباً ورسائل أخرى في علوم القرآن غير ما ذكرتُ لم أطلع عليها، ونظراً لتعذر التعريف بكل هذه الكتب، وكونه بحثاً علمياً محدد الصفحات، وخشية التكرار، إذ ما أذكره عن كتاب يمكن أن ينطبق على البقية المشابهة له في المنهجية، والكيفية، والسبب الباعث على التأليف، فسأقتصر في التعريف والمقارنة على ثلاثة كتب هي:

_ (إتقان البرهان في علوم القرآن).

_ و(غذاء الجَنان بثمر الجِنان، محاضرات في علوم القرآن) اللذان يعدان من أحسن ما كتب في علوم القرآن في الوقت الحاضر، وهما لشيخنا العلاّمة الأستاذ الفاضل الدكتور فضل حسن عباس .

_ و (في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق) لصديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، لنقف على التحقيق الذي قام به، والجديد الذي قدمه في هذا الكتاب، وما النقد الذي فعله ولمن؟

مع الاعتراف بأهمية غيرها من المؤلفات التي أشرت إليها سابقاً، وعذري أن المجال لا يتسع للتعريف بكل هذه الدرر القيمة، شكر الله تعالى للجميع جهودهم، وأثابهم على أعمالهم، وبارك بهم، لأنهم بلا ريب إنما أرادوا بصنيعهم هذا خدمة كتاب ربهم سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خير الجزاء.

المبحث الثالث _ المقارنة بين جهود الأستاذين عباس وفرحات:

أ _ الشيخ الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس والتعريف بكتابيه:

_ إتقان البرهان في علوم القرآن

_ ومحاضرات في علوم القرآن

أولاً _ التعريف بالمؤلّف :

هو الشيخ الجليل، العلاّمة الأثير، الذي أخذ من اسمه كل معانيه، فهو ذو فضل وحُسن[1]، وظرافة وطرافة، وعلم وأدب، وخلق وكرم، ونبل أصل، وطيب محتد، مع ورع وتقوى، وترفع عن الدنيا وزخرفها،

---

[1] _ وأما العباس فقد قال في تهذيب اللغة: 169/2، "عن ابن الأعرابي أنه قال: العبّاس الأسَد الذي تَهْرُبُ منه الأُسْد وبه سمّي الرجل عبّاساً ".

وزهد فيها، شيخي الفاضل الذي عرفته منذ الثمانينات أستاذاً للتفسير ومتعلقاته، وعلَماً من أعلام كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، وقد أشرف على رسالتي في مرحلة الماجستير وكان موضوعها (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت430 هـ) تقريباً ونوقشت عام 1987م، ففتح لي بيته وقلبه على الرغم من صغر سني وكبر قدره، كان ضريراً حفظه الله، ولكن الله تعالى فتح على مسامع عقله وفكره، فحفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وكذلك متون أمهات العلوم، وكما قيل من حفظ المتون حاز الفنون، فقد حاز الفنون وحيزت له ، عين رئيساً لقسم أصول الدين في الجامعة الأردنية بعمّان، ثم رئيساً لقسم الدراسات العليا في جامعة اليرموك بإربد، وهو حالياً أستاذ التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية العالمية الخاصة بالأردن، له الكثير من الأنشطة في داخل الجامعة وخارجها، وله دروس في التفسير في إذاعات شتى، ويؤم الناس في صلاة التراويح في جامع الزميلي قرب بيته في عمّان، له مؤلفات كثيرة أهمها: إتقان البرهان الذي نحن بصدده، وكتاب: غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن، التفسير أساسياته واتجاهاته، المفسرون مدارسهم ومناهجهم، والبلاغة فنونها وأفنانها، والقصص القرآني، وإعجاز القرآن بالاشتراك مع ابنته سناء، وغيرها من المؤلفات، وما زال حفظه الله يقوم بالدعوة إلى الله تعالى بالحال وبالمقال والتأليف، نفع الله تعالى به وبعلمه، وأمتع به طلاب العلم والعلماء .. آمين.[1]

ثانياً_ التعريف بكتاب:إتقان البرهان في علوم القرآن

يُعدّ كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) من أكثر الكتب إتقاناً وأوضحها برهاناً، بذل فيه مؤلفه جهداً كبيراً في تجلية مباحث علوم القرآن، فقدّم الكثير من التحريرات النافعة والتحقيقات المفيدة فتميّز الكتاب بجديته وجديده وقد بين المؤلف ذلك في مقدمته فقال:

" لقد توخيت في هذا الكتاب الجدّة والجدّية ، أما الجدة فإني أوقن أن هذا العلم يجب أن يكون متحركاً دائماً مع الزمن في سيره لا يجمد عند زمان معين أو مكان خاص، بل من الأمانة أن يرصد الكاتبون في هذا العلم كل التحركات مشبوهة كانت أو نظيفة؛ التحركات التي تعني هذا القرآن وتخصه بالبحث والتعليق ولكنا وجدنا أن مباحث هذا العلم وقفت على حقبة من حقب الماضي فنجد الدارسين لهذا العلم بعيدين عما في عصرهم من شوائب وشبهات... وفي أيامنا هذه دخلت هذه الشبهات منعطفاً جديداً ، وهناك من يروّج لهذه الشبهات على أنها هي العلم، فكيف يجوز أن نوليها الأدبار وهي تفعل في عقول شبابنا ما لا يقل عما تفعله المخدرات" (2)

وقد جاء الكتاب في جزأين الأول افتتحه بمقدمة وجيزة تحدث فيها عما سبق الإشارة إليه من ضرورة متابعة الدراسات في علوم القرآن، وبيّن السبب في تسمية كتابه فقال " وسميته (إتقان البرهان في علوم القرآن)

---

[1] _ الشيخ كما عرفته، خواطر من ذاكرتي.

(2) - إتقان البرهان 1/4- 5.

تيمناً واعترافاً لمؤلفي هذين الكتابين (البرهان في علوم القرآن) للإمام الزركشي و (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي" [1]

ثم مهّد لفصول الكتاب بالحديث عن جهود العلماء في علوم القرآن باختصار من عصر النبي صلى الله عليه وسلم وحتى العصر الحديث.

لتأتي بعد ذلك إلى فصول الكتاب وفق الترتيب الآتي:

الفصل الأول: تحدث فيه عن واجب المسلم نحو كتاب ربه وبحث فيه كيفية التلاوة والتدبر.

الفصل الثاني: بيّن فيه معنى علوم القرآن وعرّف القرآن الكريم وذكر أسماءه.

الفصل الثالث: أفرده للوحي، فعرّفه وبيّن أنواعه، وتحدث عن مصدر القرآن وتعرّض لمباحث هامة في الرد على شبهات تثار حول القرآن، من أهمها اكتساب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن عن غيره في مكة والمدينة ومسألة أن القرآن تأملات خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقد كانت ردوده على هذه الشبهات جامعة نافعة مفصّلة متقنة.

الفصل الرابع: إعجاز القرآن:

تكلّم فيه عن تعريف المعجزة ووجوه الإعجاز في القرآن ومراحل التحدي، ثم بحث في الإعجاز البياني والأسلوب القرآني والإعجاز العلمي .

الفصل الخامس: نزول القرآن الكريم:

بيّن فيه معنى نزول القرآن ثم تحدث عن تنزلات القرآن وأجرى موازنة بين الأقوال في المسألة وعالج فرية القائلين بنزول القرآن بالمعنى، ثم ختم الفصل بالبحث في تنجيم نزول القرآن.

الفصل السادس: بحث فيه أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن.

ناقش الروايات المختلفة في ذلك وعرضها عرضاً موفقاً.

الفصل السابع: في جمع القرآن الكريم:

بحث فيه معنى الجمع ثم الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعالج الكثير من الشبهات حول جمع القرآن وحفظه.

ثم بحث في الجمع في عهد الصديق ﷺ وبعده في عهد عثمان ﷺ ليجري بعد ذلك موازنة بين جمع القرآن في العهود الثلاثة.

وكذلك ناقش في هذا الفصل شبهات المستشرقين حول جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن.

الفصل الثامن: في أسباب النزول

---

[1] - م. ن 6/1.

بدأ هذا الفصل بمبحث تمهيدي بيّن فيه أهمية دراسة أسباب الترول ونبّه فيه على أخطاء وقع فيها أحد الباحثين في رسالته الماجستير وقد توسع في ذلك بعض الشيء.

ثم بحث في تعريف سبب الترول وتعرض بعد ذلك لكثير من المباحث التي تتعلق به من تعدد الترول وطريق معرفة سبب الترول وفوائد معرفته ثم عرض مبحثاً هاماً عنوّن له: الحداثة وأسباب الترول.

أجاد فيه وأفاد إذ ناقش أقوال الحداثيين وكشف حقيقة أمرهم وأن مرادهم النيل من القرآن وقداسته والتفلت من أحكامه وهيمنته .

الفصل التاسع: في المكي والمدني:

تعرّض فيه للتعاريف ووازن بينها وذكر فوائد معرفة النوعين وضوابط ذلك وخصائص كل منهما والسور المكية والمدنية والأقوال في ذلك، ثم ذكر أربع شبه حول المكي والمدني مع الرد عليها وتفنيدها .

الفصل العاشر: في ترتيب آي القرآن وعدّه

بيّن فيه معنى الآية وطريق معرفة الآيات وعددها وسبب الاختلاف في عدّها وترتيبها وأقسام سور القرآن والفاصلة القرآنية، ثم عرّف السورة وبيّن عدد السور وأسماءها والحكمة من تسوير القرآن وأورد الأقوال في ترتيب سور القرآن مع ذكر الأدلة ومناقشتها.

الفصل الحادي عشر: في رسم المصحف:

بيّن المقصود بمصطلح رسم المصحف ثم عرض الجهات التي خالف فيها الرسم العثماني الرسم القياسي ثم ذكر آراء العلماء في التزام الرسم العثماني مع عرض أدلتهم ومناقشتها ثم ذكر فوائد الرسم العثماني.

الفصل الثاني عشر: في المحكم والمتشابه

بيّن فيه المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه ثم أقسام المتشابه وآراء العلماء في معنى الإحكام والتشابه وأسباب وقوع المتشابه في القرآن.

أما الجزء الثاني فقد قسّمه إلى ستة فصول توسّع في بعضها وفصّل واختصر في البعض الأخر وهذه الفصول الستة على درجة كبيرة من الأهمية لأن البحث فيها يحتاج إلى كثير من التدقيق والتعمق إذ فيها الكثير من الثغرات التي لم تحكم من قبل ، وقد جاء المؤلف بما سدّ هذه الثغرات بتحقيقه وإتقانه.

وأول هذه الفصول وهو الثالث عشر كان في النسخ.

وقد أطال البحث فيه وأكثر من المناقشة وذلك لأن كثيرين قد جانبوا الصواب في مسألة النسخ فتعرض للنسخ بين المقرّين والمنكرين، وبين المكثرين والمقلين.

ثم عالج أنواع النسخ وردّ بعض الدعاوى فيما ادعي أنه قرآن وهو ليس كذلك ، ثم تعرض لمسألة نسيان القرآن بعد نزوله ففصل فيها القول وأجاد.

الفصل الرابع عشر: قد أفرده للأحرف السبعة ، وقد جاء مختصراً بمقارنته مع سابقه ولاحقه.

الفصل الخامس عشر: في القراءات:

وقد توسّع في هذا المبحث وفصّل القول فيه، لأن موضوع القراءات شائك وكثير من المستشرقين قد ولجوا من باب القراءات للتشكيك في القرآن، لذلك اجتهد في الرد على كثير من شبهاتهم وافتراءاتهم.

الفصل السادس عشر: تحدّث فيه عن التفسير، نشأته وتطوره ومناهج المفسرين ومدارسهم، وقد تناول هذه المباحث بشيء من الاختصار لأنه أفرد لها كتاباً هو (نشأة التفسير ومناهج المفسرين).

الفصل السابع عشر: في ترجمة القرآن

وقد أوجز القول في هذا المبحث وذلك لكثرة البحوث التي ألّفت ونشرت في هذه المسألة.

الفصل الثامن عشر: وهو آخر فصول الكتاب وأهمها بذل فيه المؤلف جهداً كبيراً وقد بيّن ذلك قائلاً: " ولعله من أكثر الفصول التي وجدت فيها عناء وبحثاً وأكثر الفصول حاجة إلى الوقت" [1]

وقد خصصه المؤلف لما يثار حول القرآن من شبه وافتراءات وجعل القول فيه في ثلاثة مباحث:

الأول: عالج فيه الروايات التي شحنت بها كتب علوم القرآن والتفسير واتخذها الأعداء وليجة للطعن في الدين والتشكيك في ثوابته.

الثاني: عالج فيه شبهات المستشرقين وهي من جنس الشبهات التي عالجها في فصول الكتاب السابقة إلا أنه أولاها في هذا الفصل عناية خاصة.

الثالث: تحدث فيه عن الحداثيين وما يتناولون به القرآن من تشكيك لإزالة قدسيته.

وبهذا يصل الكتاب إلى خاتمته، وقد جعلها المؤلف كلمة مختصرة بين فيها أنه كان قد عزم على إضافة مبحثين الأول: لغة القرآن وما تمتاز به . والثاني: أساليب القرآن والفروق الدقيقة بينها. .

إلا أنه عدل عن ذلك لئلا يطول الكتاب ويكبر حجمه على أن تفرد بالتأليف بكتاب مستقل بعد ذلك.

وبعد فقد جاء الكتاب محققاً لرجاء مؤلفه إذ قال:

" أرجو أن يجد القارئ المتعة الروحية والفكرية وأن يجد الحوافز التي تدفعه للازدياد من البحث ليحصّن نفسه بالعلم ذبّاً عن هذا الدين وأئمته" [2]

_ منهج المؤلف في كتابه:

يفتتح كل فصل بتمهيد ولو باختصار وأحياناً يقتصر على ذكر المواضيع التي سيبحث فيها فقط.

يعرض الأقوال في المسائل المختلف فيها ثم يناقشها ويوازن بينها ليرجح بعد ذلك ما يراه مؤيداً بالدليل الصحيح وموافقاً للصواب في غالب ظنّه.

---

[1] - إتقان البرهان: 2 /2.

[2] - إتقان البرهان: 3/2.

تفرد في هذا الكتاب بآراء خالف فيها العلماء وما اعتادوا عليه في علوم القرآن مثل تنزلات القرآن فهو يرى أن للقرآن تنزلاً واحداً وهو إلى قلب المصطفى ﷺ ، وأن الكتب السماوية السابقة لم تنزل جملة واحدة، إذ لا د ليل على ذلك، وأنّ نزول القرآن على الحقيقة وليس على المجاز كما ذهب إلى هذا الزرقاني وتبعه علماء آخرون.

يلتزم بآداب البحث وقواعده فلا يشنّع على مخالفه ولا يقلل من شأن أقواله واجتهاداته وإن كانت عنده مردودة غير مقبولة.

يكثر من إيراد الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم ويبذل قصارى جهده في الرد عليها وتفنيدها.

وقد صدق الدكتور جمال أبو حسان إذ وصف إتقان البرهان فقال عنه:

" تجد – أي في الكتاب – التحقيق العلمي قد انفتح بابه والتمحيص قد ظهرت آثاره، فما من مسألة إلا وأنت واجد فيها بغيتك تحقيقاً وتمحيصاً، وما من مبحث تقرأه إلا وأنت واجد شفاء نفسك، و لم يكتف الأستاذ بتحقيق الموضوعات وتمحيصها بل عرّج على أباطيل الأدعياء والأعداء على حد سواء، فزلزل بنيانها وهدم أركانها". (1)

ثالثاً_ التعريف بكتابه: غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن

نستطيع أن نعد هذا الكتاب فرعاً عن الكتاب السابق (إتقان البرهان في علوم القرآن) وقد كان الشيخ حفظه الله تعالى يريد أن يبحث فيه عن لغة القرآن وأساليبه ولكن العجلة حالت دون ذلك ، وكذلك خشية تضخيم الكتاب، فأراد الشيخ اختصار ذلك الكتاب مع إضافة بعض أنواع علوم القرآن عليه فألف هذا الكتاب الذي يقول عنه في مقدمته: " وقد كتبت منذ سنين كتاب " إتقان البرهان " وقد حالت العجلة دون تضمينه بعض الفصول التي لا بد منها، وأرجو أن يهيئ الله ذلك ... وهذا الكتاب فيه فصول وفوائد ومباحث انفرد بها .... والله أسأل أن يبارك فيه وينفع به، كما نفع بأصله..."[2]

ونظراً لكونه ألف خصيصاً لطلاب الجامعات، وهذا ما يفهم من عنوانه (محاضرات في علوم القرآن) فقد توخى فيه يسر العبارة، وسهولة الأسلوب، وجمع أكبر قدر من الفوائد مع الإيجاز، وكان كما أراد.

بدأ الكتاب بتمهيد بين فيه جهود العلماء في علوم القرآن باختصار، وقسم كتابه إلى فصول :

الفصل الأول : واجبنا نحو كتاب الله تعالى.

---

[1] – انظر تقديم الدكتور جمال أبو حسان للجزء الثاني من كتاب إتقان البرهان ص (ب).

[2] _ باختصار قليل وتصرف يسير من مقدمة أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس ، غذاء الجنان بثمر الجنان ، محاضرات في علوم القرآن (ط1، دار النفائس، عمّان، 1427هـ / 2007م) ص5_6.

الفصل الثاني : في معنى علوم القرآن، وهو يفرق بين علوم القرآن كأنواع مفردة وهو ما سماه (بالمعنى الإضافي) وبين جمعها وضم بعضها إلى بعض وهو ما يسمى علوم القرآن حالياً(بالمعنى اللقبي)، ولذلك يرى أن التعريف المقصود في علوم القرآن: " هو المسائل التي يبحث عنها في علوم القرآن[1]".

وتحدث في الفصل الثالث عن الوحي، فعرفه لغة وشرعاً، وتكلم عن أنواع الوحي، وتوسع في رد الشبهات حوله.

وأما الفصل الرابع: فتحدث فيه عن إعجاز القرآن، فعرف المعجزة لغة واصطلاحاً، وانتقل بعد ذلك إلى تعريف إعجاز القرآن فقال : " معنى إعجاز القرآن : عجز الناس عن الإتيان بمثله"[2]، ثم تحدث عن وجوه الإعجاز وهي كثيرة ومتعددة والأقوال فيها كثيرة ، وحتى يستطيع الشيخ أن يرجح قولاً لابد من ذكر مراحل التحدي، وتحدث عنها، ويرى أن القرآن الكريم معجز من حيث بيانه ، ومن حيث تشريعه، ومن حيث ما فيه من حقائق علمية وكونية ، وتحدث عنها ، ولولا خشية الإطالة للخصت لك الفصل تلخيصاً ولكن أنصحك بالرجوع إليه والتمعن فيه، فستجد فيه ما يشنف الأسماع، ويبهر القلوب، ويقنع العقول ، ويمتع النفوس. كيف لا والحديث فيه عن الإعجاز في كتاب الله تعالى ؟.

وأما الفصل الخامس فتحدث فيه عن علم المناسبات، وهو علم شريف عظيم ، وقبل البدء به تحدث عن الآية القرآنية والسورة ، وهل ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم توقيفي أو اجتهادي؟

وقد سبق الحديث عن هذا في الكتب التي تناولتها بالدراسة وعرضت لآراء أصحابها، فمنهم من يراه توقيفياً ومنهم من يراه اجتهادياً، والذي يراه فضيلة الشيخ أن ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، أقول: وهذا هو الحق، ولم يتوسع كثيراً في ذكر الأدلة واكتفى بدليلين على أن السور ترتيبها توقيفي، وانتقل بعد ذلك للحديث عن المناسبات بين السور والآيات، فعرّف المناسبة لغة واصطلاحاً، ثم تعرض لمذاهب العلماء في ذكرهم للمناسبة من المقلين والمكثرين والرافضين لها كابن عاشور، ثم تحدث عن نوعين للمناسبة فقط هما مناسبة الآي بعضها لبعض، ومناسبة السور بعضها لبعض، وذكر أمثلة على ذلك.

أقول: هناك نوع آخر ذكره العلماء، وألف فيه السيوطي رسالة وهو مناسبة أول السورة لآخرها ، وقد ذكره السيوطي في الإتقان وقال : لي فيه تأليف لطيف سميته " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع[3]" ولم يتعرض له الشيخ.

وأما الفصل السادس فكان لنزول القرآن الكريم، فتكلم على معنى النزول وهو الإيصال والإعلام ، ثم تحدث عن تنزلات القرآن الثلاث ووازن بين الأقوال، وضعف القول بنزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة

---

[1] _ المرجع السابق:ص31.

[2] _ المرجع السابق: 55.

[3] _ قمت بتحقيقه ونشره في مجلة الأحمدية بدبي، العدد الرابع سنة 1999، وقد طبع في مصر بدون علمي فاضطررت إلى نشره في دار الكلم الطيب بدمشق عام 2007م، وبينت ذلك.

في السماء الدنيا، وإن صحت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما الواردة في مثل هذا الموضوع فهذا فهمه الخاص، وأن هذه التنزلات ليست من المسلمات التي لا تجوز مخالفتها.

ثم تصدى لفرية القول بنزول القرآن بالمعنى، لأن بعض العلماء سامحهم الله تعالى ذكروا ذلك في كتبهم عن حسن نية، فجاء المستشرقون ومن نهج نهجهم من بني جلدتنا فوجدوها مادة دسمة لنفث سمومهم مستشهدين على ما يقولون بالشيخين الجليلين الزركشي والسيوطي رحمهما الله تعالى، ففند المسألة ورد عيها بأبلغ رد.

وختم الفصل بالحديث عن نزول القرآن الكريم منجماً وحكمه(باختصار).

ثم جاء الفصل السابع فكان عن أول ما نزل وآخر ما نزل، وذكر الخلاف بين العلماء فيه، ولكنه يرى أن الخلاف ليس ذا أثر كبير، ويمكن الجمع بين الأقوال.

وأما الفصل الثامن: فجعله لجمع القرآن الكريم، تناول فيه الحديث عن معنى الجمع، جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ ، وجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وجمع الناس على مصحف واحد في عهد عثمان رضي الله عنه.

وكنت دائماً أتساءل عن تعليل كثير من العلماء نهي النبي ﷺ عن عدم كتابة الحديث الشريف مع القرآن الكريم، ولا يقنعني جوابهم " خشية الاختلاط "، فكيف يختلط كلام البشر بكلام خالق البشر؟ ولهذا رأيت الشيخ حفظه الله يقول " وهذا التعليل غير مسلم، لأن أسلوب القرآن الكريم أسلوب فريد يمتاز عن أسلوب البشر"[1]، ويرى أن النهي إنما كان من أجل أن يخص القرآن الكريم بالعناية من الصحابة ، ولا يشغلهم أي شيء عنه، أقول: وهذا ما ترتاح إليه النفس، ويقبله العقل، وخاصة إذا علمنا أن وسائل الكتابة لم تكن متيسرة في زمانهم، كما هي في زماننا اليوم، وأن كتّاب الوحي لم يكونوا من الكثرة بحيث تشتت الجهود، وتوزع المهام، بل كانوا قلة لا يتجاوزون الخمسين أو الستين[2] في أمّة، وإن كان كل واحد منهم أمّة رضي الله عنهم جميعاً.

ومن التقديرات الإلهية أن يتفق عنوان الفصل التاسع عند الشيخ فضل مع الفصل التاسع في الإتقان وهو أسباب النزول ، فبدأ بتعريف سبب النزول وشرحه، وركز على قيد أيام وقوعه في التعريف حتى تخرج القصص وما شابه ذلك ، ثم تحدث عن فوائد معرفة أسباب النزول، وهي المعروفة في كتب علوم القرآن، ولكن الشيخ وقف من فائدتين لهما صلة في علم أصول الفقه وكم كانت تستوقفني في أثناء تدريسي لهذه المادة منذ أكثر من 15 سنة، وهي امتناع خروج صورة السبب من النص اجتهاداً وهي مسألة لها صلة بهذه القاعدة

---

[1] _ غذاء الجنان بثمر الجنان ، محاضرات في علوم القرآن: 115.

[2] _ عدّ الشيخ فضل حفظه الله تعالى كتّاب الوحي بين يدي النبي ﷺ (15) خمسة عشر رجلاً في العهد المكي منهم الخلفاء الأربعة، واثنين فقط في المدينة المنورة، هما أبي بن كعب وزيد بن ثابت، اعتماداً على ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وهناك كتاب للأعظمي بعنوان (كتّاب النبي) ﷺ ذكر قرابة ما ذكرته.

هل العبرة في سبب الترول بعموم اللفظ أو بخصوص السبب، وفعلاً كما ذكر الشيخ كل من ألف في علوم القرآن تجده ينقل هذه المسألة عن غيره دون أن يتعب نفسه ويأتي بمثال واحد للتوضيح ، فجزى الله خيراً شيخنا الفاضل الذي أتى في كتابه بما يسهل على القارئ كما ذكر في مقدمة الكتاب وذكر مثالين في هذه المسألة أحدهما من الكتاب والآخر من السنة ، فأجاد وأفاد.[1]

ثم تناول مسألة مهمة اختلفت فيها وجهات النظر قديماً وحديثاً وهي : أيتعدد السبب ويتعدد النازل؟

قال الشيخ: " هذه قضية جديرة أن تتنبه لها لما يتصل بها من قضايا ذات شأن وخطر، وذكر صورها : وهي :

1 _ أن يتعدد السبب والنازل واحد.

2 _ أن يتعدد النازل والسبب واحد.

ذكر أمثلة على الصورة الأولى وهي كما يراها الشيخ طبيعية لا إشكال فيها، ولا أريد ذكر الأمثلة فهي في الكتاب.

أما الصورة الثانية أن يتعدد النازل والسبب واحد، فللشيخ فضل موقف منها ، على الرغم من كثرة تناقل مثل هذه الصورة في كتب علوم القرآن القديمة والحديثة، يمثلون لها بسؤال أم سلمة رضي الله عنها النبي ﷺ عن تفضيل الرجال على النساء وكانت الآيات تترل جواباً على سؤالها الذي يدور حول هذه القضية ، ولقد كنت من الذين يدرسون ذلك لتلاميذهم ويضربون هذا المثال لهم ويؤكدون على صحته، حتى وقفني شيخي على ما هو الأقرب إلى الصواب ، وهو أن القرآن الكريم يمتاز بالإيجاز والإحكام ، فإذا وقع حدث معين ونزلت فيه آية كريمة، فإن هذه الآية لا بد أن تكون كافية تامة مبينة بياناً شافياً لهذا الأمر، وليس هناك حاجة تدعو إلى نزول آيات ثانية، فالسبب الواحد لا يحتاج إلى أكثر من نازل واحد.[2] ثم ضعّف فضيلته الأدلة التي استندوا إليها، وفندها بما تراه أقرب إلى المنطق والحق.

ولذلك أنا أوافق شيخنا فيما ذهب إليه، وأنه لا معنى لتعدد النازل، فإذا كان الواحد منا لا يقبل أن يجيب على سؤال طرح عليه قبل شهر أو شهرين بجواب مغاير فكتاب الله تعالى أجل وأسمى من أن يعرض لمثل ذلك، ولذلك أؤكد على ما ذهب إليه شيخنا عندما قال: " الذي أراه وأؤمن به عن قناعة أن مثل هذه الصورة لا وجود لها، بل هي تتنافى مع طبيعة القرآن الكريم وواقع الأحداث[3]".

ويخلص الشيخ بعد هذا إلى قضية مختلف فيها أيضاً وهي: القول بتعدد الترول، والذي يراه انسجاماً مع موقفه السابق أن هذه المسألة لم تكن معروفة في القرون الأولى فهي مسألة قالها المتأخرون، أمثال الزركشي

---

[1] _ انظرهما في كتابه ثمرة الجنان .... محاضرات في علوم القرآن:142_ 143.

[2] _ باختصار من كتاب شيخنا غذاء الجنان بثمر الجنان ، محاضرات في علوم القرآن:ص146_147.

[3] _ المرجع السابق:146.

والسيوطي ومن سار على نهجهما، من المعاصرين، وأما ما استند إليه الزركشي من العلة في تعدد النزول تعظيم شأنه، وخشية نسيانه، فإن الشيخ فضل رد عليها بأبلغ رد وهو أن أعظم آية في كتاب الله تعالى آية الكرسي و لم يثبت أنها نزلت إلا مرة واحدة، ولكان حرياً بها أن تنزل مرات كثيرة، ثم القرآن كله عظيم.

وأما خوف النسيان فأمر غير وارد بعد قول الله تبارك وتعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:9] وقول الله تعالى ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ [الأعلى:6_7] إلخ.

هكذا ينبغي أن تكون المؤلفات في علوم القرآن، ليس مجرد زيادة نسخة ، وتكرار لما كتبه السابقون، بل تراه يخاطب فيك عقلك وروحك، ويأخذ بيدك شيئاً فشيئاً إلى ما قيل سابقاً، وإلى ما كان ينبغي أن يقال، جزاه الله خيراً وأطال في عمره ، وأحسن في عمله ، وبارك به.

وأما الفصل العاشر وهو نصف الكتاب، فتحدث فيه عن المكي والمدني، ولعلي بعد أن بينت منهج الشيخ في كتابه في النصف الأول أن أختصر الفصول في النصف الثاني إلا ما يحتاج إلى بيان فأقول: في هذا الفصل عرف الشيخ المكي و المدني ورجح ما عليه الجمهور من الحد الفاصل هو الهجرة، ثم تحدث عن فائدة معرفة المكي والمدني، وفرق بين الضوابط والخصائص والمميزات على الرغم من أن كثيراً ممن كتب في هذا النوع لا يفرق بينها. وردّ في نهاية الفصل على الشبهات التي أثيرت حول هذا الموضوع.قائلاً :" فهذه الشبه لا تعدو أن تكون هراء من القول، وزوراً من متعصب جاهل بالقرآن الكريم"[1].

وأما الفصل الحادي عشر ففي رسم المصحف، بمعنى الطريقة التي تكتب بها الحروف والكلمات، وذكر أموراً ستة خالف فيها الرسم العثماني الخط القياسي كالحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل والوصل وما فيه قراءتان، ثم ذكر آراء العلماء في التزام الرسم العثماني.

وأما الفصل الثاني عشر فهو في المحكم والمتشابه، تحدث عن معاني كل من المحكم والمتشابه، وقسم المتشابه إلى قسمين : المتشابه اللفظي ، والقسم الثاني ما يقابل المحكم وهو المراد من البحث، ثم ذكر (11) أحد عشر قولا في معنى الإحكام والتشابه، نقل تسعة منها من كتاب (التحصيل) لأبي العباس المهدوي[2]، ولكنه ناقشها وفندها، على مبدأ الشيخ أنه لا يقبل أي قول إلا بعد الفحص والتثبت، وقد أرجع هذه الأقوال إلى رأيين اثنين:

1 _ المحكم ما وضح معناه، والمتشابه: ما لم يتضح معناه إلا بعد إجالة نظر وإعمال فكر.

---

[1] _ المرجع السابق: 179.

[2] _ هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي من المهدية قرب القيروان (ت 430هـ) تقريباً ، إمام في القراءات والعربية، له التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ثم لخص منه التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ، وهو تفسير كبير حصلت في تحقيق الجزء الأول منه إلى نهاية سورة البقرة على درجة الماجستير من الجامعة الأردنية عام 1987م، وقد تم تحقيق الكتاب ولله الحمد والمنة وهو قيد الطباعة.

2 _ أن المحكم ما علم معناه وكان في دائرة الإمكان، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، وهناك قول ثالث للسهيلي وهو الذي ينسجم مع رأي الشيخ فضل.

والذي يرجحه الشيخ فضل هو رأي الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى بأنه ليس في القرآن ما ليس بمعلوم، فليس من الحكمة أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا يفهمون[1].

أما الناسخ والمنسوخ فكان في الفصل الثالث عشر، وهو من الموضوعات التي أولاها العلماء عنايتهم، فعرف به في البداية حسب منهجه في الكتاب، وناقش التعريف كعادته، ثم خلص إلى الطريقة لمعرفة الناسخ والمنسوخ، وفرق بين النسخ والتخصيص، ولم يتوسع في هذا المبحث كثيراً وأحال على كتابه (إتقان البرهان) وخاصة في مسألة مهمة وهي نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، ونسخهما معاً يقول الشيخ بعد أن يضرب لكل أمثلته : " والحق الذي عليه كثير من العلماء أنه ليس في كتاب الله تعالى إلا القسم الأول ، وهو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، فقد أنكروا الضربين الآخرين ، لأن الأخبار فيها أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار الآحاد لا حجة فيها"[2].

أقول: لا أوافق الشيخ هنا فيما ذهب إليه ، لأن حديث الشيخ والشيخة، والرضاع ليسا هما الناسخان، بل أخبرَت أن هناك كان قرآناً يتلى ثم رفعه الله، والأحاديث صحيحة، فلم الإنكار؟

ويرى كذلك أن السنة لا تنسخ القرآن، وأن الآية القرآنية لا تنسخ إلا بآية قرآنية، وهي مسألة مختلف فيها.

من مزايا الشيخ حفظه الله تعالى أنه لا يتشبث برأيه ، ولا يرغم الآخرين على قبول رأيه، فهو يعرض المسائل ويناقش الأدلة ويختار منها ما يراه الأقرب إلى الصواب، من هذا مثلاً عند حديثه عن الفصل الرابع عشر الأحرف السبعة وهو من أعظم موضوعات علوم القرآن، وأكثرها خطراً ، مهد للموضوع بأن الروايات الواردة فيه كثيرة، فيها الصحيح وغيره، وأن الأقوال في معنى الأحرف السبعة كثيرة كذلك منها المقبول ومنها غير المقبول. ثم ذكر الروايات وما تدل عليه، والمهم في الأمر والذي استوقفني أن الشيخ حفظه الله غيّر رأيه في حقيقة العدد فهو يرى الآن أن الأحرف السبعة لا مفهوم لها وهي كناية عن سعة فضل الله تعالى وعظيم رحمته بالأمة، وهو بعد ذلك لا يلزمك بالأخذ برأيه يقول : " فإذا كنت ترى أن تظل مع القائلين بأن للعدد مفهوماً ، فلا حرج عليك، فلقد كنت كذلك، إلى وقت، وإن اقتنعت بما ذكرته لك، فأرجو أن يجنبني الله وإياك الخطل والخطأ"[3]، ويتابع قائلاً: إننا إذا جردنا العدد من أن يكون له مفهوم، فإننا نريح أنفسنا من كثير من الخلافات "[4]، وبعد عرضه لآراء العلماء وأقوالهم في الأحرف السبعة رجح رأي الإمام الطبري وهو "

---

[1] _ انظر غذاء الجنان ..ص198.

[2] _ المرجع السابق: 213.

[3] _ المرجع السابق: 225.

[4] _ المرجع السابق: 225.

أن الأحرف السبعة سبع لغات متفقة من حيث المعنى، مختلفة في اللفظ" وعلى هذا القول يظهر معنى التيسير على الأمة الذي حرص عليها رسول الله ﷺ ، فلا يكلف أحد أن يقرأ بغير لغته، ولكن ليس ذلك على إطلاقه، وإنما بتعليم النبي ﷺ .

الذي أريد قوله هنا طالما أن الشيخ رجح رأي الإمام الطبري ، والإمام الطبري لا يقول بأن العدد لا مفهوم له ، بل ينص على أن الأحاديث الواردة في السبعة أحرف سبعة لا تزيد ولا تنقص ، و لم ينقل شيخنا رأي من يقول بأن العدد لا مفهوم له إلا القاضي عياض رحمه الله تعالى، وهذا الرأي _ أقصد رأي الإمام الطبري_ هناك من العلماء من رجحه، فهذا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله ، يرى هذا الرأي و لم يقل بأن العدد لا مفهوم له. فما معنى قول الشيخ فضل في نهاية المطاف : " وما دمنا قررنا من قبل أن العدد لا مفهوم له ، وبرهنا على ذلك، فإننا لا نجد ما يصعب علينا حله من بحث عن ما هية هذه الأحرف، ويقيناً أن هذا القول ليس فيه تجنن على المصحف ولا إهدار للأحرف التي نزل عليها القرآن الكريم، ولا إضاعة لشيء من كتاب الله تبارك وتعالى.."[1] .

وبما أن القراءات القرآنية لها صلة بالأحرف السبعة خلافاً لما ذكره بعض الكاتبين الذين مر ذكرهم عقد الشيخ فضل الفصل الخامس عشر للقراءات القرآنية ، وبعد تعريف القراءات ذكر العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات ، وهذا ما يقتضيه المقام.

ثم تحدث عن مصدر القراءات ، وأنه الوحي بلا ريب، ثم تحدث عن تعدد القراءات وأسبابه، وهو يربط بين القراءات والرأي الذي رجحه في الأحرف السبعة فيقول: " والمتتبع لاختلاف القراءات يجد أن جلها يرجع إلى اللهجات كما قلنا من قبل .. وهذا يجعلنا نطمئن إلى ما رجحناه من قبل عند حديثنا عن الأحرف السبعة، إذ يندر أن نجد لاختلاف اللغات أثراً في هذه القراءات كتلك التي كانت تروى عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره مثل " زقية" بدل " صيحة" في قوله تعالى ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ [يس:29]؛ ثم تحدث عن الأئمة العشرة ورواهم، وعن أركان القراءة المقبولة ، وأنه لا بد فيها من التواتر.

وأما الفصل السادس عشر فتحدث فيه عن ترجمة القرآن، فعرف الترجمة وتحدث عن أقسامها، الحرفية والتفسيرية، وحكم كل منها، وفوائد ترجمة معاني القرآن.

وأما الفصل السابع عشر فجعله للتفسير والمفسرين، وللشيخ مؤلفات ضخمة في هذا الموضوع سبقت الإشارة إليها، تحدث في هذا الفصل عن نشأة التفسير والحاجة إليه، وفرق بين التفسير والتأويل ، ويعلق على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من تقسيم التفسير أربعة أقسام: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

---

[1] _ المرجع السابق: 237.

فالشيخ لا يرى صحة هذا القول، فليس له سند متصل، وارتاب في معناه أيضاً، فالحلال والحرام الذي لا يجهله أحد وهو القسم الأول، وهو ما يعرف بأحكام القرآن قال الشيخ " نجد فيه اختلافاً كثيراً للعلماء"[1].

أقول هذا في الفروع وليس في الأصول، إذ الحلال بيّن والحرام بيّن وليس هذا المراد و الله أعلم.

ثم تحدث عن التفسير في عهد الصحابة والتابعين، وأقسام التفسير وغير ذلك.

وأما الفصل الثامن عشر فتحدث فيه عن القصة القرآنية أهدافها وخصائصها، وأفاض في الرد على الشبهات حولها لخطرها وقد أخذت ثلثي الفصل.

أما الفصل التاسع فعقده لأمثال القرآن، تحدث فيه عن أهمية ضرب المثل في القرآن، ومعناه، ولماذا اختيرت كلمة الضرب دون غيرها، قال لأن الضرب معناه إيقاع شيء على شيء، ومنه ضرب الدراهم، أي يظهر أثرها في تعامل الناس بها، فالمثل لكونه كلاماً بليغاً، أو قصة ذات شأن أو صفة عجيبة، ستترك أثراً كبيراً في نفوس مستمعيها.[2]، ثم تكلم عن أنواع الأمثال، وهي نوعان مصرحة وكامنة.

وأخيراً الفصل العشرون وهو عن القسم في القرآن ، وبه ختم الشيخ الكتاب، وحسب منهج الشيخ في الكتاب، فقد عرف القسم بأنه تحقيق الخبر وتوكيد ثم تحدث عن أنواعه وختم بالحديث عن بلاغة القسم في القرآن، وقبل أن يختم تحدث عن صيغة لا أقسم الواردة في القرآن، والذي يرجحه الشيخ أن " لا" جاءت لتأكيد القسم، أي أقسم قسماً مؤكداً وأصلها " لأقسم" ولكنها أشبعت بالمد ويستدلون لذلك بأن قرئ في السبعة " لأقسم ".

هكذا نرى الشيخ _ حفظه الله تعالى _ لا يترك مسألة اختلف فيها العلماء إلا وأدلى بدلوه فيها مرجحاً ومقوياً ومخالفاً ومدللاً، ولا يترك الأمر هملاً، فهو لم يكن مجرد ناقل، بل له شخصيته العلمية الفذة التي أثبتت وجودها حتى عند مخالفيه.

ومع هذا ، وعلى الرغم من محبتي للشيخ وتقديري لشخصه وعلمه إلا أنه يؤخذ عليه بعض الأمور الواردة في الكتاب ولعل بعضها يعود إلى فهمي والله أعلم ، فإن كان الأمر كذلك فأنا أعتذر من الآن لفضيلة الشيخ فضل، وإن كان ما سأذكره صحيحاً فلعلها هدية يقدمها تلميذ محب لشيخ جدير بذلك، وهي:

أولاً المقدمة ص6، قال الشيخ:" وقد كتبت منذ سنين كتاب " إتقان البرهان" وقد حالت العجلة دون تضمينه بعض الفصول التي لا بد منها، وأرجو أن يهيئ الله ذلك في طبعة جيدة في وقت قريب إن شاء الله.

ثم قال وهذا الكتاب فيه فصول وفوائد ومباحث انفرد بها...

ثم قال : والله أسأل أن يبارك فيه وينفع به، كما نفع بأصله.."[3].

---

[1] _ غذاء الجنان... محاضرات في علوم القرآن: 274.

[2] _ باختصار من المرجع السابق: 331.

[3] _ غذاء الجنان بثمر الجنان ، محاضرات في علوم القرآن:6.

هنا وقعت في حيرة ما صلة كتاب الإتقان أعني إتقان البرهان بهذا الكتاب غذاء الجنان، هل هو فرع من ذاك الأصل كما فهمت وكما أشار الشيخ إلى ذلك، وحبذا لو ذكر من الآن الفوائد والمباحث التي انفرد بها عن الأصل ، ثم هل هذه المباحث التي أضافها إلى غذاء الجنان هي التي كان يود الشيخ أن يضيفها إلى كتاب إتقان البرهان ، ولكن العجلة حالت دون ذلك، وهل سيعيد النظر في كتابه إتقان البرهان ليضمنه نفس الفصول التي زادها في هذا الكتاب أو غيرها، وأنا أعلم أن الشيخ الآن بصدد إعادة طباعة إتقان البرهان طبعة مزيدة ومضاف إليها ما كان يتمناه، أقول كنت أود من فضيلة الشيخ كما عودنا دائما على وضوح العبارة وسهولة الأسلوب ، وهو الحريص على راحة قارئه، أن يوضح الأمر هنا أكثر.

وثانياً: الفصل الثاني في معنى علوم القرآن ص29 تحدث عن معنى علوم القرآن عشر صفحات، ولكنني لم أقف له على تعريف لعلوم القرآن، ولعل طول المقدمات أنسته الموضوع الأساس الذي يبحث عنه وهو تعريف علوم القرآن.

نعم هو حام حولها ولكنه لم يضعها تحت عنوان عريض يستطيع القارئ أن يذهب إليه مباشرة، وخاصة أن الكتاب هو في الأصل محاضرات فقال الشيخ معنى علوم القرآن من المفيد أن نعرض إلى معنى علوم القرآن، (مركب إضافي) يعني مضاف ومضاف إليه علوم القرآن، وقبل ذلك أجا ب على سؤال لماذا جاء بصيغة الجمع، و لم يأت بصيغة الإفراد، وأجاب حفظه الله على السؤال.

ثم قال: " وقبل أن أبدأ بتعريف هذا العلم أراني مضطراً إلى التفرقة بين علوم القرآن بعد ظهور هذا المصطلح، أي بعد أن أصبح علَماً له شخصيته وموضوعه ومسائله، وهو ما يعبر عنه بالمعنى اللقبي، وبين هذا المركب أعني علوم القرآن وهو ما يعبر عنه بالمعنى الإضافي

ثم قال :" وكي نعرف هذا العلم تعريفاً دقيقاً لا بد من الوقوف عند هذا المركب (علوم) و (قرآن) وشرحهما، عند الفلاسفة والمتكلمين ، ثم قال ص31" وهناك إطلاق ثالث للعلم عند غير الفلاسفة والمتكلمين، يعنون به المسائل المتحدث عنها، فمسائل علم النحو كقولنا الفاعل مرفوع إلخ ثم قال وهذا هو التعريف المقصود في علوم القرآن ، هو " المسائل التي يبحث عنها في علوم القرآن"[1]

أقول إذا كان هذا هو التعريف فهذا يستلزم الدور وهو ممنوع، لأن المقصود في علوم القرآن هو علوم القرآن، ومع هذا فالتعريف لم ينتهي بعد ، إذ قال الشيخ بعد هذا " هذا ما يتصل بمعنى " علوم" من قولنا "علوم القرآن".

أما القرآن.... فإن بحثنا في لفظة (قرآن) له حيثيات متعددة:

1_ من حيث الهمز والتخفيف.

2 _ من حيث الاشتقاق وعدمه.

---

[1] _ المرجع السابق:31.

3 ـ من حيث المصدرية والوصفية.

4 ـ من حيث التعريف والتنكير.

ثم شرع حفظه الله بشرح ذلك، ورجح أن القرآن الكريم مصدر في الأصل علم على هذا الكتاب المبارك..

ثم قال هذا هو القرآن في اللغة، ولنتحدث عن معناه شرعاً وعرف القرآن الكريم شرعاً بأنه كلام الله إلخ ثم انتقل إلى أسماء القرآن الكريم ص37، وختم الفصل بذلك دون أن أعرف بنحو واضح وبخط عريض وبتعريف جامع مانع كما يقولون (علوم القرآن الكريم).

أقول هذا لأنه ليس من عادة شيخنا أن يترك القارئ يستنتج التعريف بل لا حظنا أنه في بداية كل فصل يسارع إلى تعريفه وبيانه لينطلق بعد ذلك إلى فنونه وأفنانه.

وثالثاً: عند حديثه عن أسماء القرآن تعرض لاسمين مشهورين للقرآن الكريم هما القرآن والكتاب، وقال " هذان الاسمان يرجعان إلى أصل واحد من حيث المعنى..."[1] ثم قال: " ومن هنا ندرك الخطأ والخطل الذي ذهب إليه شحرور في كتابه الذي سماه " الكتاب والقرآن" الذي خرج فيه عن مدلولات المنطق واللغة، والشرع، والعقل، كما ستعرفه فيما بعد إن شاء الله"[2].

أقول : وقد تصفحت الكتاب من أوله إلى آخره عدة مرات فلم أسمع لشحرور هذا صوتاً في كتابه، و لم أر له شكلاً ، ولعل الشيخ قد اختلط عنده كتاب (إتقان البرهان) الذي تناول فيه في فصل كبير (الحداثيون) ومنهم شحرور بالطبع بهذا الكتاب، والله أعلم.

ولعلي أطلت التعريف بهذا الكتاب القيم، ولكنني لم أشعر بذلك، وعذري أنه كان غذاء لروحي وفكري وعقلي، فكان بحق غذاء الجَنان.

وإذا أردنا المقارنة والموازنة بين (إتقان البرهان ..) و (غذاء الجنان..) ، نجد أن (غذاء الجنان) جاء كالفرع السامق من الدوحة العظيمة (إتقان البرهان) فهو مختصر مفيد مع التركيز على قضايا جد مهمة في علوم القرآن سبقت الإشارة إليها في أثناء التعريف بالكتاب ، توخى فيه الشيخ يسر العبارة ، وسهولة الأسلوب ، مع تفرده بفصول ومباحث ليست في (إتقان البرهان) ، وحقيقة نجد الشيخ قد أضاف في نهاية الكتاب ثلاثة فصول غير موجودة في الكتاب السابق (إتقان البرهان) وهي الفصل الثامن عشر في القصة القرآنية، والفصل التاسع عشر أمثال القرآن ، والفصل العشرون في أقسام القرآن ، لم يتعرض لهذه المباحث في (إتقان البرهان) ، وكذلك أدمج ترتيب الآيات والسور في (غذاء الجنان) تحت الفصل الخامس علم المناسبات، و لم يتعرض لعلم المناسبات في إتقان البرهان بل أفرد لترتيب الآيات والسور الفصل العاشر، وقد انفرد كتاب

---

[1] ـ المرجع السابق:38.

[2] ـ المرجع السابق:38.

(إتقان البرهان) بفصل مهم جداً ــ لم يتعرض له في (غذاء الجنان) خشية الإطالة، ومراعاة للهدف الذي ألف من أجله الكتاب وهو الإيجاز والاختصار ــ هو الفصل الثامن عشر الذي خصصه الشيخ لما يثار حول القرآن من شبه وافتراءات وجعل القول فيه في ثلاثة مباحث سبقت الإشارة إليها، وقد صدر الكتاب عن دار النفائس بالأردن عام 2010م، وقررته على طلاب الدراسات العليا بجامعة دمشق، وجامعة أم درمان (فرع دمشق).

ب ــ الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، وكتابه: (في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق) ومن الكتب الجديرة بالوقوف عندها، والتي تميزت عن غيرها من كتب علوم القرآن بقوة العرض ، وبراعة النقد، ودقة التحقيق، والتي خلت من تبويب أو تقسيم كتاب أخينا الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات[1] (**في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق**) الذي تناول فيه بعض أنواع علوم القرآن حسب التكليف الذي كلف به من قبل الهيئة التنفيذية لمشروع " قاموس القرآن الكريم " في الكويت، التي عهدت إليه بكتابة تعريف عام عن القرآن الكريم: تعربفه وأسمائه وصفاته ، والفرق بينه وبين الحديث القدسي ، وتقسيم القرآن إلى آيات وسور، وترتيب الآيات والسور، والمناسبات ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والتفسير والتأويل والفروق بينهما ، واتجاهات التفسير قديماً وحديثاً ، والاتجاهات المنحرفة في التفسير، وترجمة القرآن الكريم إلى غير العربية.

وقد حرص الدكتور فرحات في كتابه أن يكون محققاً للغاية المرجوة ، وموافقاً للشروط والمواصفات التي أشارت إليها اللجنة، فأولى المعاني اللغوية عناية خاصة، وبين أسباب اختلاف العلماء، ورجح بين الأقوال، وتوسع في بعض المباحث الضرورية التي لم تأخذ حظها من الدراسة والبحث قديماً، كعلم المناسبات بين السور والآيات، وفصل في مبحثين مهمين هما المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لكثرة ما أثير حولهما من جدل، معتمداً في كل ذلك، على المصادر الأصيلة القديمة والجديدة، دون كلل أو ملل.

يقول الدكتور فرحات في مقدمة كتابه موضحاً منهجه : " وقد حرصت في هذا البحث أن أضيف جديداً، فحررت ما هو بحاجة إلى تحرير، ورجحت من الأقوال ما شهد له الدليل، ورددت ما كان عن هوى أو غرض، وكشفت ما كان عن سهو أو خطأ، وحققت ما وسعني التحقيق...إلخ"[2].

---

[1] ــ أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الإمارات العربية المتحدة ، من مواليد ريف دمشق، كان رئيساً لتحرير مجلة (حضارة الإسلام) بدمشق، ومديراً لتحرير مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية التي تصدر عن مجلس للنشر العلمي في جامعة الكويت (سابقاً)، له مؤلفات عديدة وتحقيقات مفيدة ، أشهرها مكي بن أبي طالب وكتابه التفسير، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه دراسة وتحقيق ، و شرح كلا وبلى ونعم لمكي أيضاً ، ومقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني تحقيق أيضاً، وهو مغرم بالإمام عبد الحميد الفراهي الهندي وبكتبه في التفسير وعلوم القرآن، وقد عرفته في أثناء إعارتي إلى جامعة الإمارات مدة ثماني سنوات، وهو من أهل العلم والفضل، أطال الله في عمره ، وأحسن في عمله، له ترجمة حافلة في (أعلام دمشق) على الإنترنت.

[2] ــ في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق، أ. د. أحمد حسن فرحات ، ص6.

ومن تحقيقاته الدقيقة، وتحريراته المفيدة ما ذكره حول ترتيب السور، وإنما ذكرت هذا المثال للمقارنة بين ما ذهب إليه الدكتور فرحات وغيره من أصحاب المؤلفات في علوم القرآن التي أشرت إليها سابقاً سواء الدكتور المجالي في كتابه (الوجيز) أو الأخ الجُديْع في كتابه (المقدمات) فذكر آراء العلماء في ترتيب سور القرآن، وهي ثلاثة: منهم من قال بالاجتهاد ، ومنهم من قال بالتوقيف ومنهم من توسط فقال معظمه بتوقيف وبعضه باجتهاد، وأدلة هذا الفريق هي أدلة الفريق الأول في اعتمادهم على حديث ابن عباس وعثمان رضي الله عنهم المشهور " ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، و لم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم..." قال الدكتور فرحات :" فإن هذا الحديث هو المتمسك الحقيقي لمن يقولون بأن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة، ومن ثم كان لا بد أولاً من معرفة درجة الحديث من حيث الصحة وعدمها، وبالتالي هل يقبل الاستشهاد به أو لا؟"[1]، ثم نراه ينقل أقوال العلماء وآراءهم في تخريج الحديث وما قيل في سنده، ومن صححه ومن ضعفه معتمداً على المراجع القديمة والحديثة ، ثم يرجح تضعيف الحديث ويقول : " وإذا تبين ضعف الحديث كان ما بني عليه من الأقوال ضعيفاً أيضاً"[2]، ويرى أن ترتيب السور في القرآن كترتيب الآيات أي توقيفي، ويخلص في نهاية المبحث إلى بيان رأيه في المسألة فيقول : " وهكذا يتبين لنا من التفاصيل التي ذكرناها أن جمهور العلماء يذهبون إلى القول بأن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات ، وأن بعض العلماء يقول بالتوقيف في ما عدا التوبة والأنفال اعتماداً على حديث ابن عباس وعثمان (رضي الله عنهم) والحقيقة أنه لولا هذا الحديث لكان هناك إجماع من العلماء على القول بأن ترتيب السور توقيفي، وقد قدمنا ما يفيد ضعف الحديث سنداً ومتناً، وأن مثل هذا الحديث إن كان يتسامح بقبوله في فضائل الأعمال ، فإنه لا يجوز التعويل عليه في أمر القرآن الذي يتطلب أعلى درجات التوثيق " التواتر" ولو أن علماءنا تنبهوا إلى تلك الثغرات التي أشير إليها في الحديث، لما عولوا عليه، وبالتالي لم يكن لهم إلا رأي واحد، وهو أن ترتيب السور كترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله عز وجل بوساطة جبريل[3]".

أقول: والحق ما ذهب إليه، وأضيف على ما ذكره من أن ما اعتمدوا عليه لا يرقى للاستشهاد من العلة الخفية التي في متن الحديث وهي أن الرسول ﷺ مات و لم يبين لهم، والله تعالى يقول ﴿ لتبين ﴾!

ثم ختم الموضوع بكلام رائع لعلاّمة الهند الإمام عبد الحميد الفراهي في التأكيد على ما توصل إليه من أن ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم كان بتوقيف من النبي ﷺ ، وقد استنبط ذلك ـ في أثناء تفسيره لسورة القيامة ـ من قول الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة: 16ـ18].

---

[1] ـ المرجع السابق: ص58.

[2] ـ المرجع السابق: 62.

[3] ـ المرج السابق : 67.

وبهذا التحليل الدقيق، والتحقيق العميق، والنقد الرقيق، الذي تحلى به الأستاذ المتميز الدكتور أحمد فرحات يسير في بقية المباحث التي تناولها في كتابه الذي صدق في تسميته " في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق "[1].

ومما يؤخذ على الدكتور فرحات في كتاباته عموماً، وفي هذا الكتاب خصوصاً[2] ولعه الشديد، وتأثره الكبير، ببعض المؤلفين القدامى والمحدَثين، فمن القدامى الإمام مكي بن أبي طالب القيسي والراغب الأصفهاني، ومن المحدَثين الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي، فهو يكثر النقل عنهم، والاستشهاد بأقوالهم، ولا يخرج عن آرائهم، حتى إنه يراهم كما يقول الفراهي عن العرب " إنما سيئاتهم نبعت من الحسنات" ، فسبحان مقلب القلوب، ثم إنه خلط في آخر الكتاب بين الخلاصة ونتائج البحث عندما قال:

ــ بيان معنى النسخ في القرآن وصلته بالمعاني اللغوية.

ــ بيان معاني التأويل والتفسير وردهما إلى أصولهما الاشتقاقية.

ــ بيان ما ينطوي عليه القرآن ، وذكر الشروط التي لا بد منها لمن يتصدى للتفسير، وغيرها مما ذكره تحت نتائج البحث، وهو في الحقيقة خلاصة للبحث.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذا العرض لكتب علوم القرآن نستطيع أن نخلص إلى أن الكتابات في علوم القرآن متعددة ومتجددة، منها التقليدي ومنها المبدع، وهي في الأعم الأغلب كتبت حسب مقررات الجامعات أو المعاهد الشرعية أو المدارس، وعلى الرغم من أن موضوعات علوم القرآن محددة وواضحة، لكن طريقة العرض والبحث والأسلوب هي المختلفة، ولم أجد بعد هذه الدراسة المطولة أمتع ولا أنفع، ولا أجمل ولا أفضل من كتاب شيخنا (غذاء الجنان بثمر الجنان، محاضرات في علوم القرآن)، الذي كان كما سماه غذاء ومتعة وفائدة، لما تميز به من سهولة أسلوب ، ويسر عبارة ، دون تطويل ممل، ولا إيجاز مخل، يخاطب الشيخ قارئه وكأنه أمامه، مكثراً من الجمل الاعتراضية التي تفيد التحبب والتقرب إلى المخاطب، داعياً له بالخير، مع شموله لكثير من موضوعات علوم القرآن التي يحتاج إليها طالب العلم، والترجيح بين الأقوال، وإبداء الرأي والتدليل لما يقول، يضاف إلى ذلك كله الأمانة في النقل، والدقة في العزو والتوثيق، وهذه هي البركة التي ذكرها السيوطي رحمه الله عندما قال :" بركة العلم عزو القول إلى قائله".

نسأل الله تعالى أن يطيل في عمر مؤلفه، وأن ينفع به.

---

[1] ــ انظر على سبيل المثال مناقشته للدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون في مراحل تدوين التفسير ، ص245ــ 251.

[2] ــ انظر على سبيل المثال أيضاً بحث المناسبات بين السور والآيات ، وكذلك بحث المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ.

أما نتائج البحث:

فقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج يمكن عدها فيما يأتي:

1 _ كثرة المؤلفات في علوم القرآن في العصر الحديث، بحيث بلغت أكثر من تسعين مؤلفاً، وذلك بسبب أن معظم هذه المؤلفات كانت وفق المقررات الجامعية، أو الدراسية.

2 _ معظم هذه الكتب كانت تكراراً لما كتب سابقاً، وأخذ اللاحق من السابق ، وهذا لا بد منه في البحوث العلمية والمؤلفات الجامعية، ولكن لا بد أن يكون هناك تميز لكل مؤلف.

3 _ لم تضف كتب علوم القرآن المعاصرة على مباحث علوم القرآن القديمة شيئاً جديداً إلا من الدراسات التي قام بها شيخنا الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إتقان البرهان) فقد أضاف فصلاً طويلاً حافلاً جعله للرد على الحداثيين، ولما يثار حول القرآن من شبه وافتراءات، وهذا مهم جداً في الوقت الحاضر.

4 _ هناك كتب تميزت بالتحقيق والتدقيق والنقد ككتاب الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات على الرغم من أنه لم يستوعب كل علوم القرآن.

5 _ كان شائعاً أن أول من ألف في علوم القرآن في الوقت الحاضر بعد السيوطي هو الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله تعالى ، ولكن تبين لي أن هناك من سبقه إلى التأليف في علوم القرآن كابن عقيلة المكي، والشقانصي القيرواني.

6 _ كانت هذه المؤلفات التي أشرت إليها سابقاً، تعتمد في الدرجة الأولى على كتاب الإتقان سواء بالتصريح أو بالتضمين ، فقد صرح الشيخ طاهر في كتابه التبيان عندما قال على طريق الإتقان ، وكذلك اعتماد الشقانصي القيرواني على كتاب الإتقان في الفصل السادس والعشرين عندما قسمه إلى 72 نوعاً كلها من الإتقان.

9 _ بعد الدراسة والتحقيق تبيّن لي أن أفضل كتاب في علوم القرآن في الوقت الحاضر هو كتاب الشيخ الدكتور فضل حسن عباس حفظه الله تعالى، (غذاء الجنان بثمر الجنان، محاضرات في علوم القرآن) لما تميز به من شمولٍ لأنواع علوم القرآن، وعرضِها بمنهجية علمية سليمة، ومناقشة للأقوال المختلف فيها، والترجيح بينها بما يراه الأقرب إلى الحق والصواب ، ولو ذهب غيره إلى غير ذلك. كل ذلك بأسلوب سهل، وعبارة ميسرة، وفكرة واضحة، وأمانة في النقل، ودقة في العزو.

10 _ معظم كتب علوم القرآن كانت تقسم الموضوعات إلى أبواب، أو فصول أو مقدمات، أو مقالات، والذي يراه الباحث أن تقسيمها إلى مباحث أولى وأفضل لينسجم هذا التقسيم مع التعريف لعلوم القرآن :" **بأنها مباحث كلية تتعلق بالقرآن الكريم من عدة نواح يمكن عد كل منها علماً قائماً بذاته** " وهو تعريف الباحث لعلوم القرآن.

هذا ولا يسعني في نهاية هذا البحث إلا أن أقلد شيخي الإمام السيوطي رحمه الله تعالى، عندما انتهى من كتابه (الإتقان) شكى حال زمانه فقال :" هذا وإني في زمان ملأ الله قلوب أهله من الحسد، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد...

قوم غلب عليهم الجهل وطمهم، وأعماهم حب الرياسة وأصمهم، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه، وأكبوا على علم الفلاسفة[1] وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيراً..

ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفاً مشمرة، وقلوباً عن الحق مستكبرة، وأقوالاً تصدر عنهم مزورة، كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم..

وأيم الله، إن هذا لهو الزمان الذي يلزم فيه السكوت ، والمصير حلساً من أحلاس البيوت"[2].

وأنا أضرع إلى الله عز وجل كما منّ وتفضل بإتمام هذا البحث ، أن يتم علينا النعمة بقبوله، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يجعلنا من السابقين الأولين إلى اتباع سيد الأنبياء والمرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا الله صلِّ على سيدنا محمد ومن والاه، عدد ما تعلمه من بدء الخلق إلى منتهاه، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- إتقان البرهان في علوم القرآن ، أ.د. فضل حسن عباس، ط1، دار النفائس ، الأردن، عمّان، 2010م.
- أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً ، مصطفى الصاوي الجويني(ط. الإسكندرية : 1982م).
- الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن ، د. محمد الشربجي (ط1 ، دار المكتبي، دمشق : 2001م)
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية ، نشر مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ط1، 2006م.
- علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره وأول من ألف فيه، د. محمد الشربجي، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد 12، العدد الأول سنة 1996م
- غذاء الجنان بثمر الجنان محاضرات في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس (ط1، دار النفائس ، عمّان ـــ الأردن : 2007م) .
- في علوم القرآن، عرض ونقد وتحقيق، أ. د. أحمد حسن فرحات، ط1، دار عمار ، الأردن عمّان، 2001م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، تحقيق د. بديع السيد اللحام (ط1، دار قتيبة، دمشق:1998م).

---

[1] ـ أقول: يا ليتهم أكبوا على علم الفلسفة، ولكنهم أكبوا على الدنيا ..

[2] ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ، تعليق د. مصطفى البغا(ط1. دار ابن كثير ، دمشق: 1407هـ/ 1987م) 1290/2ـ 1291(باختصار يسير).